العسكرية التيمورية في بلاد ما وراء النهر من خلال كتاب تزوكات تيموري

شيماء رياض محمود أ . د عباس خميس الزبيدي

المقدمة

إن كتابة المذكرات الشخصية والسير الذاتية سلوك حضاري وظاهرة إيجابية تدل على إدراك أصحابها لضرورة تسجيل تجاربهم في الحياة والأهم من ذلك توثيق الأحداث الجسام التي كانوا طرفا فيها أو شهودا عليها أو اطلعوا على تفاصيلها عن طريق الرواة ، وتعد مثل هذه الكتابات مصادر لا غنى عنها لكتابة التاريخ .

ولاجل معرفة التنظيمات العسكرية التي شهدتها بلاد ما وراء النهر في عهد الدولة التيمورية التي تعود الى مؤسسها تيمورلنك (٧٧١هـ / ١٣٧٠م) ، سعينا الى دراسة مذكراته الشخصية (تزوكات تيموري) التي أسهمت في تدوين تاريخ الامبراطورية التيمورية عامة ، وتاريخ بلاد ما وراء النهر خاصة ، واعتبرت مرجعا هاماً بالنسبة للباحثين والمهتمين بتاريخ تلك البلاد وما جاورها ، بحكم معايشة صاحبها وإسهاماته في أهم الأحداث التي شهدتها المنطقة ، مع بداية مشواره السياسي والعسكري زعيماً لقبيلة برلاس ، ثم جنديا في جيش الأمير قازغن وزعيما للإمبراطورية المغولية لاحقاً .

لذا سنحاول تقسيم البحث الى ثلاثة محاور ، نتناول في المحور الاول هويات الجيش التيموري ، اما المحور الثاني سنتناول فيه الفرق والرتب العسكرية في ذلك الجيش ، وجاء الثالث للحديث عن التموين والاعداد الذي امتاز به جيش تيمور ، كل ذلك من خلال عرض ومقابلة الآراء التي قيلت في ذلك ، مع ما جاء في التزوكات ، في محاولة منا لتحديد قيمة هذا المصدر.

المحور الاول : هويات الجيش

لم يؤسس تيمورلنك كما فعل جنكيزخان عسكرية من تفكيره وعمله ، وانما اقام قواته المسلحة على قاعدة اشراك القبائل البدوية في غاراته وحملاته ، لقاء الاشتراك في تقسيم الاسلاب والاغنام ، وكانت لهذه القبائل عسكرية موروثة من عسكرية جنكيزخان الى حد ما ، حتى ان السكان في البلدان الاخرى التي وصلت لها جيوش تيمور كانت تنظر لها على انها جيوش مغولية اكثر من كونها جيوش تركية اسلامية ، لكنها لم تكن كعسكرية الفاتح المغولي شدة وقوة في النظام والانضباط (١) .

ومع ذلك فأن جيشه كان يضم هويات متعددة لأنه سمح لكل من يشاء بالانخراط فيه ، بغض النظر عن شعبه او قبيلته او طبقته ، والحصول على الترقيات على قدر مؤهلاته العسكرية المتبعة ، فقد أكد ابن عربشاه ، ان جيوش تيمورلنك التي أغارت على بلاد الشام سنة

٨٠٣هـ/١٤٠٠م ، قد ضمت جنسيات مختلفة منها الترك والمغول والخطا والقبجاق ، وفيهم عباد الاوثان والنار والمجوس ايضا ، وكانوا يسيرون في جيشه حاملين أصنامهم ، بينما يسجّع الكهنة الكلام ويأكلون الميتة والدم المسفوح والخمرة (٢) ، ويضيف يكوبوفسكي قائلا : " ان جيوش تيمور كانت تضم بعض العناصر الاوربية ... وكان القس البافاري شيلتبرجر (3) ، أشهر ضابطا في الجيش التيموري ... وكان تيمورلنك يُعد جنود كل مملكة خضعت له تحت خدمته وتوجيهاته " (4)

ونظرا لكون الجيش كان عماد حكمه ، فقد وصف بانه جيشاً ثابتا حسن التدريب ، اعتاد افراده على الطاعة العمياء ، وكان قادته على اعلى درجات الكفاية ، ويظهر ان معظم الضباط الذين ساروا تحت لوائه ، هم انفسهم الذين كانوا معه من أول حياته ، امثال : جهانكير برلاس ، وسيف الدين برلاس ، وآقبغا ، وعثمان عباس ، ومحمد سلطان شاه ، وقماري ، ومحمد فرعان ، وحمزة بن الامير موسى ، و تبان بهادر ، واخرون ، وكان يختار ضباطه الاخرين من ذوي الكفاية القتالية والشجاعة ، وكان على القادة ان يحرصوا على سلامة رجالهم ، واحيانا كان يرسلهم تيمور الى بلاد خراسان لجمع الجنود من هناك عند الحاجة (٥) ، اذ تشير التزوكات في مواضع عديدة ، الى ان تيمور كان يحسن معاملة قواده كونهم عماد جيشه ، ومنها يذكر خلال حربه مع الامير حسين ، انه ارسل في طلب قادته وخاطبهم قائلا : " كل من يبقى معي سأعامله معاملة الاخ ، وكل ما أملكه الان سأتقاسمه معكم ، وكل ما سأحصل عليه في المستقبل سيجري تقاسمه ايضاً ، اما كل من هو كاره للعمل معي فليتركني ، واسال الله العظيم ان يجازيه حسب نيته " (6) .

بل ذهبت التزوكات الى ابعد من ذلك ، حين أظهرت تيمور قائد متسامح كان يعطى للأسير الحق بالاختيار بين اطلاق سراحه او الانخراط مع قواته العسكرية ومثال ذلك يذكر تيمور موقفه من اسرى المغول بعد هزيمتهم في معركة قبي متن ٧٦٥هـ/١٣٦٣م ، قائلاً : " .. وحاولت إقناعهم بالانضمام إليّ ، لكن على الرغم من أنني قدمت لهم عروضاً عظيمة إلا إنني لم أتمكن من إقناعهم بالانضمام إليّ ، لذلك قدمتُ مَعاطف لجميع الاسرى وأطلقتُ سراحهم ..." (٧) ، ويبدو أن هذا الاجراء جاء تطبيقاً لوعد سابق قد أقطعه على نفسه حين وقع في أسر زعيم التركمان علي بك غرباني بقوله : " أمر علي بك بأحتجازي في زريبة للبقر تعج بالبراغيث وسواها من الهوام ، من دون أن يراني ، حتى أبقاني وزوجتي من دون اي رفيق لنا سوى الحشرات طوال ثلاثة وخمسين يوماً ، وفي ذلك الحين عاهدتُ الله أنني لن أُبقي أي شخص سواء أكان مذنباً ام بريئاً مدة طويلة سجيناً أو مكبلاً بالسلاسل " . (8)

الا ان براون يشير الى ان روح الانتقام المرير لدى تيمور قد عبرت عن حقد عميق تجاه الاخرين ، ظهر في الافراط في سفك دماء الاسرى الذين قاوموه ورفضوا الاذعان له على وجه السرعة (9) ، ويبرر مؤرخه يزدي ذلك الاجراء بقوله : " ... انه فعل ذلك حتى لا يطمح اعداؤه في مقاومته مستقبلا ، فيدفعونه لمزيد من القتل والخراب الذي سيقع على أهليهم بأيديهم " (10) ، كما اشار الى الجزئيين الرئيسين في جيش تيمور وهما التاجيك (11) والاتراك ، وميز الفرقة الخراسانية من بين فرق التاجيك . (12)

وان اكثر ما يميز جيوش تيمور هي السرعة في الحركة والتجمع عند الدعوة للقتال ، حتى ان الكثير من غارات الجتة المفاجئة على بلاد ما وراء النهر ، لم تستطيع النصر على جيوش تيمور (13) ، بسبب سرعة وصول النجدات العسكرية الى ساحات القتال ، كما حدث سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م ، حين أضطر ابنه عمر شيخ التخلي عن مدينته أنديجان ، والتراجع امام هجمة الجتة المباغتة ، حين سحب جيشه وأظهر نفسه ثم أنكفأ الى الوراء ، في مناورة تعتمد على تنفيذ حركات محسوبة لاستدراج العدو من معاقله وقطع خطوط التراجع عليه ، حتى وصول نجدة ابيه العسكرية ، قادمة اليه من سمرقند لتعزز موقفه العسكري امام الجتة ، ذكرها تيمور قائلا : " ... ثم بعث عمر الشيخ إليّ برسالة يخبرني فيها بهذه الوقائع ، فأصدرت الاوامر للجيش فوراً بالتجمع ، وامتطيت حصاني ومضيت للانضمام الى ولدي ..." . (14)

ومع مضي الوقت واتساع رقعة البلدان المكتسحة وتعاظم الثروة ، اخذ يظهر بالتدريج شيء من جندية نظامية ، في تشكيلات الحرس لدى تيمور واولاده في أول الامر ، وثم في الحاميات والقلاع والقوة الضاربة ، وكانت اللحمة في بادئ الامر مزيجاً من حب المخاطرة وشهوة المغنم ، ثم أضيف الى ذلك مع تتابع الانتصارات وتكاثر الغنائم ، وحسن طالعه ونجاح حملاته ، الامر الذي حمل كل راغب في المخاطرة والغنيمة على الشعور بالفخر والاعتزاز فيما اذا هو استطاع الانضمام كمحارب فرد او كمجموعة الى أحد ألوية هذا القائد الذي لا يُهزم . (15)

المحور الثاني : الفرق والرتب العسكرية

يبدو ان اثر التقاليد المغولية كان واضحا ايضا على تشكيلة الجيوش التيمورية ، اذ كانت الرتب العسكرية مقسمة كالاتي :

- تومان آغاسي : يقود صاحبها عشرة الاف جندي
- البيكاشي : قائد الاف ، ويكون مشهود له بالخبرة الواسعة في امور القتال
- اليوزباشي : قائد المائة ، ويجب ان يتميز بالنشاط والذكاء
- الاونباشي : قائد العشرة ، ويجب ان يتمتع برجاحة العقل ، ويتم تنصيبه بموافقة التسعة الاخرين معه
- الجندي العادي (16)

وكان ثمة رتبة تدعى (بكليربكي) وهي رتبة خوارزمية ، تعادل رتبة المُشير ، وشارتها علم احمر طويل بطرفةِ ذيل حصان (17) ، ويشير بارتولد ، الى ان مصطلح (قوشون) المغولي كان يطلق على الفرق العسكرية التي يتراوح عدد افرادها بين ٥٠ – ١٠٠ ، من الجند المتميزين من الناحية البدنية والكفاءة العسكرية (18) ، ويذكر ابن عربشاه ، ان النساء كانت تشارك الرجال في عسكر تيمور ويقاتلن مثلهم بالسيف والرمح والنبال ، واذا كانت احداهن حامل ، وحانت وقت ولادتها وهم سائرون ، تنحت عن الطريق ونزلت عن دابتها ووضعت حملها ولفته وركبت بكل بساطة . (19)

وتشير التزوكات الى ان تيمور قد وضع سجل خاص لكل جندي يسجل فيه علاماته الفارقة ، ومقدار راتبه السنوي وتاريخ استحقاقه (20) ، وسُمي ابن عربشاه ذلك السجل ب (ديوان الجند) (21) ، وقد حددت رواتب الجند تبعا لإخلاصهم وكفاءتهم بقيمة الخيول ، ويتراوح الراتب بين

قيمة حصان واحد وقيمة اربعة أحصنة ، حسب شجاعة الجندي ، اذ يعطى لقائد العشرة ، عشرة اضعاف راتب الفارس العادي ، ويعطى قائد المائة ضعف راتب قائد العشرة ، ويعطى قائد الاف ثلاثة اضعاف راتب قائد المائة ، ويعطى قائد العشرة الاف ثلاثة اضعاف راتب قائد الالف (٢٢).

وعندما كان هؤلاء القادة يحققون انتصارات عظيمة ، يُمنحون مكافأة اعظم واضخم ، مثل إقطاع مدينة مع عائداتها ، او ولاية في بعض الحالات ، على الرغم من ان بعض قادة الجيش الكبار كانوا من افراد العائلة المالكة ، فقد كان القائد جاكو برلاس ، أحد القلائل الذين ظلوا على قيد الحياة وتقاعد في جلال وعظمة مع اعلى رتبة عسكرية (أمير الامراء) وحكومة بلخ كهبة إضافية ، اضافة الى بعض الالقاب والمكافأة التي تمنح للبارزين من افراد الجيش ، مثل رايات محلاة بذيول او طبول ، او لقب بهادر(شجاع) ، تقربا لقلوب الجنود . (23)

اما حرس تيمور الخاص المؤلف من اثنا عشر الفا ، فقد اختارهم من بين الرجال المشهود لهم بالبطولة وعظائم الاعمال ، وكانت تدفع لهم رواتب شهرية ، اضافة الى مكافأة مشجعة ونصيب من الغنائم والاسلاب ، فقد جاء في تزوكاته قوله : " يقتضي للعسكري المتفرغ للجندية ان لا يفتقر لا إلى المرتبة ولا إلى الراتب ، فالرجل من هذا النوع الذي تخلى عن السعادة الدائمة من اجل شرف قابل للتلف يستحق المكافأة "(24) ، وكان يصر على هذا الرأي ويعمل بموجبه ، ويسهر على تسجيل اسماء جميع المجندين ، وعائلاتهم واولادهم على ان تكون العلاوات والمكافأة والامتيازات مثبتة في السجلات بوسطة الكتبة المختصين . (25)

وكان يكره الشخص الذي يُوجد الاعذار لفشله او يتحاشى المخاطر والازمات ، فقد عرف عنه لا يطيق الغباوة والحماقة ، وكثيرا ما يقول : " عدو عاقل أقل ضرراً من صديق غبي أحمق ." (26)

وحرص كثيرا على اصطحاب الجنود الذين يتميزون بالذكاء والكفاءة في الوصول الى الكنوز المطمورة ، مهما أُحسن دفنها ، فكان الواحد منهم ينظر الى ارض المكان وترابه ، ثم يقول : " ليس هذا الثرى من ذلك التراب ، ثم ينزل عن دابته ويأخذ من ذلك التراب ويشمهُ ، ثم يلتفت الى الجهات الاربعة فيقصد منها جانباً ، ثم لا يزال يسير بمن معه حتى يصلوا الى المكان ، فيحفر ويخرج ما فيه من الدفائن " ، (27) " ... وكانوا اذا وصلوا الى المقابر والعمائر يتوجهون مباشرة الى الخبء ، كأنما وضعوه بأيديهم ، وربما جاءوا الى مكان مر على ساكنيه وقت طويل ، فيتوجهون الى مكان المطمور ، حتى يُبهت الساكن نفسهُ حين يكتشف انه لم يكن يعرف شيئاً ... ." (28)

المحور الثالث : التموين والاعداد

اهتم تيمورلنك كثيرا بتجهيز جنوده كفايتهم مما يحتاجونه من الالبسة والاسلحة ، في اوقات السلم والحرب ، وكان اللباس واحدا للجميع وهو اللباس التقليدي للجغتائيين ، المتكون من قلنسوة مخروطية ، ومعطف ذي قبة رأسيه ، وأحذية بسيقان طويلة (29) ، وكان الفارس يمتطي جوادا ويجر خلفه جوادا احتياط ، والسلاح الفردي كان مؤلفا من سيف وقوس وفأس وجعبة للسهام ، وكان يعطى لكل فارس مثقاب وأبر للخياطة ، وأداة حفر وجرف وحقيبة جلدية ظهرية يحمل فيها

تلك الامتعة ، ويؤوي في كل خيمة اثنا عشر فارس ، وترافقهم فرق اسعاف لتقديم المساعدات للجند على وجه السرعة . (30)

وقد استعمل التيموريين اقواساً متعددة الطول والاوزان ، كان القوس الكبير ثقيل بطول خمسة اقدام وما فوق ، وبقوة قذف تبلغ سبعين كيلو غراماً ، وكان من الممكن لمثل هذا القوس ان يرمي حتى مسافة ٤٥٠ مترا تقريبا ، وكانت هناك للاستعمال رؤوس نبال (31) ، متعددة الانواع بعضها مصمم لاختراق الدروع وبعضها لقذف نبال متفجرة ، ونفط مشتعل ، كما استعملوا الدبابات(32) والعرادات (33) والمنجنيقات (34) ، المحمولة على ظهر الدواب وانواعا متعددة من قاذفات اللهب كأنها وعاء للنار، كان الصينيين قد استعملوها قبل تيمور بمئات السنين (٣٥) .

كما حرص ايضا على توطيد أواصر علاقته بجنده لتقوية روحهم المعنوية ، وحثهم على بذل كل ما يستطيعون بذله لتحقيق النصر، ولأجل ذلك كان يخاطبهم بمنطق الاخوة ، متعهداً لهم باقتسام كل ما يغتنمونه بينهم ، ويذكر انه كان لا يجلس على مائدة طعام ، إلا ومعه عددا من جنوده ، حتى نجح في جعل اتباعه يتعلقون به الى حد كبير ، وقد وردت في التزوكات اشارات عديدة تبين استمتاع تيمور بمجالسة جنوده والتسلية معهم بممارسة الصيد ، سيما بعد إحراز النصر ومثال ذلك ، يذكر بعد احرازه النصر على جيش الجتة وأسر زعيمهم الياس خواجا في معركة قبي متن سنة ٧٦٥هـ/١٣٦٣م ، قائلاً : " ولما أصبحت الان مطمأن ألبال فيما يتعلق بالمغول ، فقد أستقر رأيي على تسلية جيشي بممارسة الصيد حتى بلغنا منطقة مجاورة لسمرقند ، وخرج سكانها للقائي وأفرطوا في ثنائهم عليّ وإشادتهم بيّ ... "(36) ، فضلا عن كرمه في إغداق المال على جنده ، فقد جاء في تزوكاته بعد هزيمة الياس خواجا سنة ٧٦٥هـ /١٣٦٣م ، انه قال : " ... وزعت في ذلك الحين مبالغ من المال على جميع الجرحى لدفع تكاليف علاجهم ، ورصدت مخصصات لورثة اولئك الذين قتلوا ... " (37) ، ونتيجة لحسن تصرفه مع جنده ، فقد أكدت التزوكات بأنهم كانوا يستأنسون بالموت دونه ، وذلك ما حدث سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م ، عندما وصلته أنباء بأن عزيمة الضباط في جيشه بدأت تضعف وتتراخى ، حين علموا بأن الامير حسين قد زج أثنا عشر الف فارس لمواجهتهم ، ولما أستدعى القادة وطالبهم بالوفاء بوعودهم ، أجابوه بلا تردد : " إن أعطيتنا مكاناً حصيناً ، نأمن فيه على عائلاتنا ومؤننا ، فعندها سننذر حياتنا لخدمتك "(38) ، وتأكيدا لوفائهم جاءوا أليه وبيدهم القرآن الكريم ، وقد تدلت سيوفهم حول أعناقهم قائلين : " تلكم هي نسخ القرآن الكريم ، وهذه هي سيوفنا ، فإن حنثنا في أيماننا ، فعليك أن تقتلنا ". (39)

وكان لا يفرق بين صغير وكبير بالقيام بمختلف الاعمال مهما كانت خطورتها ، من اجل احراز النصر، حتى انه اشرك اولادهِ وأحفاده مع الجند في القتال وفك اسوار المدن واقتحامها ، وفقد أغلبهم في ساحات القتال (40) ، ومن امثلة ذلك نذكر ، حين قاد أبنه ميرانشاه قوة كبيرة من عسكر أبيه ، هاجم بها مناطق نفوذ القره قوينلو في سهل موش (41) ، الواقع على طرق التجارة بين الشرق والغرب ومنه كان القره قوينلو يشنون غاراتهم على قوافل الحج والتجارة (42) ، وأرسله مرة اخرى على رأس جيش كبير لفتح البصرة سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٣م ، واشتبك مع قوات العشائر العربية في معركة أسفرت عن دخول البصرة تحت سيطرة تيمورلنك (43) ، وفي معركة أنقرة سنة ٨٠٤هـ/١٤٠٢م ، كان يقود ميمنة الجيش التيموري البالغ مئة وأربعين ألفاً

(44) ، ميرانشاه ، يعاونه أبنه أبو بكر ، ويتولى قيادة القلب حفيد تيمور محمد سلطان ، ويقود الميسرة أبنا تيمور شاه رخ وخليل سلطان ، وبقي تيمور في المؤخرة التي تحتوي قوات الاحتياط (45)، وفي كثير من المناسبات كان يضرب المثال لجنده من نفسه ، محاولا دائما اقناعهم بأن المعارك التي يخوضونها ، هي سبيل لزيادة الغنائم ، وان من يفر من المعركة لا نصيب له من غنائمها ، وكان يتقصد ان ينشر بين جنوده قصصا عن المآثر الشخصية للمحارب الشجاع ، الذي يستطيع بلوغ اعلى المراتب . (46)

ويشير بارتولد الى ان سبب حب تيمور وتقربه لعسكره ، انه كان يشعر بقربه الى الجزء العسكري في دولته من الجزء المدني الاخر (47) ، فقد جاء في تزوكاته قوله : " ان التجارب علمتني ان الكفء الذي يجب ان يحل محل اميراً او قائد ، عليه ان يعرف اسرار الفن العسكري والطرائق التي يحطم بها قطعات العدو ، ولا يضيع شجاعته ويستمر في توجيه حركات قطعاته ، ولا يقف امام الصعوبات ، واذا فاجأته بعض الاضطرابات والفوضى ، يعرف كيف يعالج الامر في اللحظة نفسها ، ويعيد جنوده الى النظام ... ". (48)

فقد كان الجيش المغولي يسير والعساكر على ظهر الخيل ، والطبول السلطانية تقرع والطبلخاناه تدق لبث الحماس في نفوس الجنود (49)، كما أمر تيمورلنك بإعطاء كل واحد من الامراء الاثني عشر المنتخبين علم ونقارة ، وإعطاء علما ونقارة وتومان طوخ وجرطوغ لامير الامراء ، وان يسمح الى امير الاونباشي ومثله امير اليوزباشي ، بنفير وطبل ، وللمينك باشي طوغ ونفير ايضا (50) ، رغبة منه لرفع معنويات المقاتلين اثناء القتال .

ويذكر ابن عربشاه ان الانضباط في الجيش التيموري كان في غاية الدقة ، والاطاعة من الادنى للأعلى واجبة في السلم والحرب ، وكانت هناك عقوبات لحالات التأخر عن الالتحاق بالقطعات العسكرية ، والعصيان والفرار والتجسس ، بعضها تلك العقوبات ماديا كالحرمان من غنائم المعارك ، وبعضها معنويا كالتوبيخ والتنديد ، وبعضها جسديا كالصلب وضرب العنق (51)

وعن موقف تيمور من جنوده وموقفهم منه ، اثناء الفتح ، جاءت الآراء كثيرة ومتباينة ، فمن ناحية يزعم فامبري انه : " كان على الجندي التيموري ان يعامل عدوه بلطف ، اذا ما استسلم اليه واسترحمه ، وان الجندي التيموري كان أبعد ما يكون عما وصفه به اعداؤه بانه مجرد غول شرس ... "(52) ، ويذكر المؤرخين التيموريين ، ان كثيرا من الاوامر التي كان يصدرها تيمور انما يُبالغ في تَنفيذها ، وان ثمة افعالاً ارتكبت في حلب ودمشق دون علمهِ ، وقد بكى حينما علم بها (53) ، إلا إن حافظ آبرو ينفرد دون بقية اولئك المؤرخين بالإشارة الى الوحشية التي اتبعها تيمورلنك في معاملة أهالي حلب ، بانتهاكهم حرمات مواطنيها ، وأماكن عبادتهم ، غير مُبالين بشعائر الدين الاسلامي ، بقوله : " أنها كانت أعمال نهب على نطاق واسع لدور المدينة وقصورها ، أستمر خمسة عشر يوماً ". (54)

ويبدوا ان ما ذهبت إليه بعض المصادر التيمورية أعلاه ، لا صحة له اطلاقاً ، اذ اتضح لنا من خلال ما أطلعنا عليه ، ان تيمور كان يسيطر تماما على جيشه ، ولا يتم شيء الا بأذنه وعلمه ، لان هيبته كانت تحول دون وقوع أية تجاوزات من اي فرد من افراد جيشه ، اذا لم يكن

تيمورلنك فيها قد أمر ، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن عربشاه : " ... لو سرق أحد من قادته او جنده ، قبل الاذن العام بالنهب ، فإن تيمورلنك كان يحاسبهم حسابا عسيراً ، وينزل بهم اشد العقاب ، ، ولو كانوا من ذوي الرتب العالية ، واما بعد الإذن فإنه يشجعهم على القتال والنهب ، ولا يعاقب منهم أحد ابداً ... ". (55)

وتأكيدا على مدى انضباط جيشه وسيطرته عليه نذكر هذه الحادثة : يُروى ان احدى حصون الهند (56)، استعصت على جنود تيمورلنك ، فَحَنق وتغيظ ، وشتم ضباطه ، ووبخهم وَهَم بقتلهم ، فذهبوا الى (محمد قاوجين) (57) ، وكان من اقرب الناس واحبهم اليه ، وكلموه في إقناع تيمورلنك بفك الحصار عن القلعة لكثرة الضحايا ، وعدم وجود فائدة في الحصار ، وما كاد قاوجين يفاتحه في ذلك ، حتى حنق منهُ وتغيظ ، وسلبه كل نعمه ، وأعطاها لمتسول منبوذ في قصره ، ومنع الناس من مخاطبته او الشفاعة فيه ، ودام الرجل على ذلك الحال حتى توفي تيمور لنك ، فأعاد حفيده خليل كل املاكهِ . (58)

الخاتمة

- اتاحت الفوضى التي سادت بلاد ما وراء النهر الفرصة لتيمورلنك للانقضاض عليها والتغلب على حكامها الضعاف ، ثم شجعه ذلك الانتصار السهل السريع على تأسيس امبراطورية مغولية كبيرة لإعادة مجد المغول الغابر .
- أمتاز تيمورلنك كقائد حربي بشخصية قوية التأثير الى جانب شجاعته في القتال ، فأخلص له أتباعه وتسابقوا في تنفيذ اوامره ، حتى تمكن من تحقيق الكثير من الانتصارات العسكرية التي مد من خلالها امبراطوريته حتى حدود الهند ، وكاد يُلحق الصين بأملاكه لولا وفاته في منطقة أترار .
- لم يقض هذا الامبراطور التركي السنين الاحدى والسبعين التي عاشها ، بين أهله وعشيرته في سمرقند وما وراء النهر حيث رغد العيش وفخامة البلاط ، بقدر ما قضى من هذا العمر على ظهر جواده ، يطوي البلاد ويسترق العباد ، حتى وفاته سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م.

قائمة الهوامش والمصادر

١ - بارتولد ، تاريخ الترك ، ص٢٢١ ؛ صفا ، تيمورلنك ، ص٢٣٠

٢ - ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص٨٤-٨٥

٣ - ولد المغامر الالماني البافاري يوهان شيلتبرجر سنة ٧٨٣هـ/١٣٨١م ، وكان يخدم في حاشية السلطان الشخصية بايزيد الاول وأبناؤه ، ثم انتقل الى خدمة تيمورلنك بعد انتصاره على بايزيد في معركة أنقرة سنة ٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م وظل معه حتى عام ٨٠٨هـ/١٤٠٥م ، ثم بقي مع أبنه شاه روخ ، وسرعان ماقدمه شاه روخ عبداً لأخيه ميرانشاه ، لكنه توفي سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م ، في معركة مع الحاكم التركماني قرا يوسف ، ينظر ، فيشل ، لقاء ابن خلدون ، ص١٠٦ ؛ بيشوب ، موريس ، تاريخ أوربا في العصور الوسطى ، ترجمة علي السيد علي المجلس الاعلى للثقافة ، ط١ (القاهرة – ٢٠٠٥) ، ص ٣١٢ .

٤ - تيمورلنك ، ص١٣١

٥ - بارتولد ، تاريخ الترك ، ص٢٢٦ ؛ فامبرى ، تاريخ بخارى ، ص ٣٧٨

٦ - تزوكات ، ص ١١٦

٧ - تزوكات ، ص١٠٤

٨ - تزوكات ، ص٨٣

٩ - تاريخ الادب ، ج٢ / ص٢٢

١٠ - ظفرنامة ، ج١ / ص٣٦٠

١١ - وهم فئة قليلة ، ينتمون الى العناصر السكانية القديمة التي كانت تسكن ما وراء النهر قبل الغزو المغولي ، وغالبيتها عناصر فارسية تتداخل مع بعض العربية ، جعل منهم الدين الاسلامي والثقافة الاسلامية التي يعيشون في كنفها عنصرا اسلاميا واحدا بعد إزالة الفوارق العنصرية بينهم ، كان الغزو المغولي قد اجبرهم على الهجرة الى خراسان ، وبعد ان استقرت احوال ما وراء النهر في العصر التيموري ، عادت قلة منهم واشتغلوا بالأمور الدينية والثقافية (العلوم والاداب) ، ينظر : ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص٢٢٣-٢٢٥ ؛ حافظ آبرو ، زبدة التواريخ ، ج١ / ص٢٠٣ .

١٢ - ظفرنامة ، ج٢ / ص٢٧ و ص٤٧

١٣ - ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص ١٥٠

١٤ - تزوكات ، ص١٦٩

١٥ - صفا ، تيمورلنك ، ص ٢٣١

١٦ - يزدي ، ظفرنامة ، ج١ / ص٣٥٢ ؛ العلبي ، تيمورلنك ، ص٦٥

١٧ - فامبرى ، تاريخ بخارى ، ص ٣٧٨

١٨ - بارتولد ، تاريخ الترك ، ص٢٢٧

١٩ - عجائب المقدور ، ص ١٥٠

٢٠ - تزوكات ، ص٩٦

٢١ - عجائب المقدور ، ص١٣٦

٢٢ - تزوكات ، ص٨٠-٨٢ ؛ ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص٤٢

٢٣ - يزدي ، ظفرنامة ، ج٢/ ص١٣٠ ؛ يكوبوفسكي ، تيمورلنك ، ص١١٨

٢٤ - تزوكات ، ص١٠٠

٢٥ - صفا ، تيمرلنك ، ص٢٣٢

٢٦ - تزوكات ، ص ١٠٤

٢٧ - ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص١٢٥

٢٨ - ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص١٤٣

٢٩ - ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص٤١

٣٠ - تزوكات ، ص١٠٩ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج١٢ / ص ٣٢٦

٣١ - وهي من اسلحتهم المشهورة ، تكون ذات الاطراف الفولاذية او العظمية او القرنية ولا تخلو جعبة كل جندي من اوتار القسي ومعها أبره وشمع لإصلاحها ومبرد لسن اطراف النبال ، ينظر : الصياد ، فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، دار النهضة للطباعة (بيروت – ١٩٨٠) ، ج١/ ص٣٦٢ ؛ العبادي ، احمد مختار ، تاريخ الايوبيين والمماليك ، دار النهضة للطباعة والنشر (بيروت – ١٩٩٥) ، ص١٢٨

٣٢ - الدبابة الة تتخذ للحروب ، فتدفع في أصل الحصن ، فينقبون وهم في جوفها ، وكان لها دور كبير في الحروب التيمورية حين استعانوا بها في ثقب الاسوار وما شابهها ، ينظر : الفيروزآبادي ، القاموس المحيط ، ج١ / ص٦٥ ؛ حميد ، عبد العزيز واخرون ، الفنون الزخرفية العربية الاسلامية (وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة بغداد) ، ص٢٠٢ .

٣٣ - العرادة عبارة عن منجنيق صغير الحجم لرمي القلاع والحصون ، استخدمتها جيوش تيمور لرمي الحجارة على المعسكرات لإحداث الخسائر بها ، فضلا عن ثقب الاسوار لتسهيل دخول الجيش ، ينظر : الحنفي ، شهاب الدين احمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، تح محمد كشاش ، ط١، دار الكتب العلمية ، (القاهرة - ١٩٩٨) ، ص١٤١ ؛ ابن الفوطي ، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق البغدادي ، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة تح مصطفى جواد ، مطبعة الفرات (بغداد – ١٩٣٢) ، ص٣٢٥

٣٤ - يعد المنجنيق من الاسلحة الثقيلة التي تستخدم لفرض الحصار على المدن والحصون ذات والاسوار العالية لالقاء الحجارة والسهام ، ولقذف اللهب واشعال الحرائق في المدن الكبرى ، ينظر : ابن العبري ابو الفرج بوحنا بن هارون ، تاريخ مختصر الدول ، تح أنطون صالحاني اليسوعي ، ط٣ ، دار الشرق (بيروت - ١٩٩٢) ، ص٤٧٣ ؛ ابن الفوطي ، الحوادث الجامعة ، ص٣٢٥ .

٣٥ - الطرسوسي ، مرضي بن علي مرضي ، موسوعة الاسلحة القديمة ، تح كارين صادر ، دار صادر ، (بيروت – ١٩٩٨)، ص١٧٧٠١٧٦ ؛ يكوبوفسكي ، تيمورلنك ، ص١٣٢-١٣٣

؛ غنيمات ، قاسم محمد خزعل ، الجيش المغولي ، مؤسسة حماة للدراسات الجامعية ، (الاردن – ٢٠١١) ، ص٩٧ .

٣٦ - تزوكات ، ص ١٠٤ و ص١١٦

٣٧ - تزوكات ، ص ١٠٠

٣٨ - تزوكات ، ص ١١٧

٣٩ - تزوكات ، ص ١١٧

٤٠ - يزدي ، ظفرنامة ، ج١ / ص٤٦٢

٤١ - سهل مهم يقع شرقي الاناضول ، يربط بين اذربيجان وأرمينيا والاناضول والجزيرة الفراتية محمد ، فرح عبد الكريم ، النزاع على المياه بين العراق وتركيا ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية الاداب والعلوم (جامعة الشرق الاوسط – ٢٠١٤) ، ص٤١.

٤٢ - ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ص١٢ ؛ قداوي ، تاريخ العراق في القرن التاسع الهجري /الخامس عشر الميلادي ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب (جامعة الموصل - ١٩٩٣) ، ص٦٠

٤٣ - ابن الفرات ، تاريخ ابن الفرات ، ص٢٤٧ ؛ خليل ، ابراهيم ، اوضاع العراق السياسية في عهد السلطان أحمد الجلائري ، مجلة آداب الرافدين ، العدد : ٨ ، ١٩٧٧ ، ص١٤٤

٤٤ - لامب ، تيمورلنك ، ص١٤٣ ؛ أوزتونا ، يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان ، (استانبول – ١٩٨٨) ، ج١/ ص ١١٠ .

٤٥ - برجاوي ، سعيد أحمد ، الامبراطورية العثمانية : تاريخها السياسي والعسكري ، (بيروت – ١٩٩٣) ، ص٣٢ ؛ احمد ، علي خليل ، الدولة العثمانية في سنوات المحنة ، اطروحة دكتوراه (غير منشورة) ، كلية الآداب (جامعة بغداد – ٢٠٠٤) ، ص٦٨ ؛ حول مخطط معركة أنقرة ينظر : ملحق رقم (١٠) .

٤٦ - تزوكات ، ص١٠٥ ؛ فرج ، تيمورلنك ، ص١٠٦

٤٧ - تاريخ الترك ، ص٢٣٠

٤٨ - تزوكات ، ص ١٧٢

٤٩ - ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج٧/ ص١٦٢ و ص١٦٩

٥٠ - تزوكات ، ص٩٩

٥١ - ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص١٣٦-١٣٧

٥٢ - تاريخ بخارى ، ص ٣٦٥

٥٣ - شامي ، ظفرنامة ، ص ؛ يزدي ، ظفرنامة ، ج٢ / ص٢٢٢

٥٤ - زبدة التواريخ ، ج٢ / ص١٦٠

٥٥ - عجائب المقدور ، ص١٧٧

٥٦ - استطاعت قوات تيمورلنك سنة ٧٩٩هـ/١٣٩٧م ان تخضع كل المدن والقرى على الطريق الى دلهي ، حتى وصل الى مشارف العاصمة ونزل بقصر جيهان نامة وهو السلطان السابق فيروز تغلق ، وحين عبرت جيوشه نهر الدوآب ووصلوا حصن ميروت Meruot ، لقوا فيه مقاومة شديدة من واليه الياس افغان وابنه احمد تنسري حتى أضطر تيمور ان يخرج بنفسه ويقاتل أهل الحصن وتمكن اخيرا من دك الحصن بالأرض ، وعدا ذلك لم يلق أي مقاومة تذكر على طول القرى القريبة من دلهي بسبب هجرة سكانها ، ينظر : الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج٢ / ص٧ ؛ الجوارنة ، احمد محمد ، المعارك الاسلامية في الهند ، جامعة اليرموك ،(الاردن – د.ت) ، ص٨٠ ؛ المشهداني ، ياسر عبد الجواد حامد ، حملة تيمورلنك وآثارها على الهند الاسلامية (٧٩٩-٨٠١هـ / ١٣٩٧-١٣٩٩م) ، بحث منشور في مجلة أبحاث كلية التربية الاساسية ، مج :٧ ، العدد:٤ (جامعة الموصل – ٢٠٠٨) ، ص٢٢٦

٥٧ - أحد أمراء تيمورلنك ، ذو مكان مكين ومقام أمين مقدم عنده على جميع الامراء والوزراء ، وافر الطول مقبول القول ، مسعود الرأي مرغوب الفضل محبوب الشكل ، تترامى اليه الوزراء في حل المشكلات ، ينظر : ابن عربشاه ، فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء ، تح أيمن عبد الجبار البحيري ، ط١ ، دار الافاق العربية ، (القاهرة – ٢٠٠١) ، ص١٨٧ ؛ المقريزي ، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة ، تح محمود الجليلي ، ط١ ، در الغرب الاسلامي ، (بيروت - ٢٠٠٢) ، ج١/ ص٤٢٩ .

٥٨ - ابن عربشاه ، عجائب المقدور ، ص١٢٥